

خطبة بعنوان: دور الإسلام في مواجهة الاعتداء والتخريب

بتاريخ: ٢٠ شوال ١٤٣٨هـ - ١٤ يوليو ٢٠١٧م

عناصر الخطبة:

العنصر الأول: النهي عن الإفساد والتخريب في الإسلام

العنصر الثاني: صور وأشكال التخريب والإفساد

العنصر الثالث: الاصطفاة لمواجهة الاعتداء والتخريب

العنصر الرابع: من أنواع الشهداء (الشهادة في سبيل الدفاع عن الوطن)

المقدمة: أما بعد:

العنصر الأول: النهي عن الإفساد والتخريب في الإسلام

عباد الله: إن الدين الإسلامي الحنيف حارب الفساد والاعتداء والتخريب منذ اليوم الأول لبعثة النبي صلى الله عليه وسلم، فالإسلام ذاته ثورة ضد الفساد الذي كان يعيش عليه الناس في الجاهلية، بدءاً من فساد العقيدة؛ فقد جاء ليحرر الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وجاء ليقضى على الأخلاق الذميمة والعصبيات الجاهلية، وينشر بدلا منها الأخلاق القويمة الحميدة، ويدعو إلى الخير وينهى عن الشرّ والتدمير والتخريب والإفساد؛ جاء ليقضى على كل مظاهر التدمير والتخريب الفساد الاقتصادية والاجتماعية ويؤصل بدلا منها كل ما هو حسن وكل ما من شأنه أن ينهض بالأمة ويجعلها رائدة العالم كله.

أيها المسلمون: إن الاعتداء والتخريب والإفساد في الأرض شيمة المحرمين، وطبيعة المخربين، وعمل المفسدين، ففيه ضياعٌ للأموال، وضيقةٌ في الأرزاق، وشثوطةٌ للأخلاق، إنّه إخفاقٌ فوق إخفاق، يُحوّل المجتمع إلى غابةٍ يأكل القوي فيه الضعيف، وينقضُّ الكبير على الصغير، وينتقم الغني من الفقير، فيزداد الغني غنىً، ويزداد الفقير فقراً، ويقوى القوي على قوّته، ويضعف الضعيف على ضعفه!. والتخريب والفساد داءٌ مُمتدٌ لا تحدّه حدودٌ، ولا تمنعه فواصلٌ، يطال المجتمعات كلّها مُتقدّمها ومُتخلّفها بدرجاتٍ مُتفاوتة.

أحبتي في الله: إن الشريعة الإسلامية السمحة جاءت لتحقيق مصالح العباد ودفع المفاسد عنهم، وهذا هو الهدف من بعثة الأنبياء عليهم السلام؛ حيث كان الإصلاح هو سبيل أئمة المصلحين من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وهو منهجهم، فشعب عليه السلام يقول لقومه: { إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت } [هود: ٨٨]، وأوصى موسى عليه السلام أخاه هارون فقال: { اخلّفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المُفسدين } [الأعراف: ١٤٢]، فالله عز وجل نهي عن الإفساد فقال سبحانه: { ولا تُفسدوا في الأرض بعد إصلاحها } [الأعراف: ٥٦]، وأخبر جل وعلا أنه لا يجب الفساد ولا يجب المفسدين فقال مبيناً حال بعض الناس: { وإذا تولى سعى في الأرض ليُفسد فيها ويُهلك الحرث والنسل والله لا يُحبُّ الفساد } [البقرة: ٢٠٥]، وأمر بالإحسان ونهى عن الفساد فقال: { وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يُحبُّ المُفسدين } [القصص: ٧٧]، وبين جل وعلا الفارق العظيم بين أهل الإصلاح وأهل الفساد فقال: { أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمُفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار } [ص: ٢٨].

وأضاف الله الإفساد إلى المنافق فقال: { وإذا تولى سعى في الأرض ليُفسد فيها ويُهلك الحرث والنسل والله لا يُحبُّ الفساد } (البقرة/ ٢٠٥) يقول ابن جرير الطبري في تفسيره لهذه الآية: " اختلف أهل التأويل في معنى الإفساد الذي أضافه الله - عز وجل - إلى هذا المنافق: فقال: تأويله ما قلنا فيه من قطعه الطريق، وإخافته السبيل كما حدث من الأحنس بن شريق. وقال بعضهم: بل معنى ذلك قطع الرحم وسفك دماء المسلمين ...

وقد يدخل في الإفساد جميع المعاصي، وذلك أنّ العمل بالمعاصي إفساد في الأرض، فلم يخصّص الله وصفه ببعض معاني الإفساد دون بعض. "أ.هـ. ولهذا قاوم الرسول صلى الله عليه وسلم كل من يقوم بالتدمير والتخريب والإفساد ونكل بهم وعاقبهم أشد العقوبة؛ فعن أنس بن مالك: " أنّ ناساً من عُرَيْنَةَ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاجْتَوَوْهَا فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ شِئْتُمْ أَنْ تَخْرُجُوا إِلَى إِبِلِ الصَّدَقَةِ فَتَشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَاهِهَا؛ فَفَعَلُوا فَصَحُّوا؛ ثُمَّ مَالُوا عَلَى الرُّعَاةِ فَفَقَتَلُوهُمْ وَارْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ؛ وَسَاقُوا ذَوْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَعَثَ فِي أَثَرِهِمْ؛ فَأُتِيَ بِهِمْ فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ وَسَمَلَ أَعْيُنَهُمْ وَتَرَكَهُمْ فِي الْحَرَّةِ حَتَّى مَاتُوا " [متفق عليه]. وفي رواية: (وسَمَرَ أَعْيُنَهُمْ)؛ ومعنى سمل باللام نقاها وأذهب ما فيها، ومعنى سمر بالراء: كحلها بمسامير محمية، وقيل: هما بمعنى. (شرح النووي). هذا في سياق من يقطعون الطريق أمام إعمار الأرض وإصلاحها وازدهارها؛ ويسعون في الأرض فسادا وتخريبا وإرهابا!!

أحبتني في الله: اعلّموا أن كل من انتهك الحرمات أو سعى إلى الإفساد أو روح للقتل والإرهاب فإن حسناته مهما عمل إلى زوال؛ فعن ثوبان، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: " لأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا، قَالَ ثُوبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا، حَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا." (الطبراني وابن ماجه بسند صحيح).

عباد الله: لقد أوجب الإسلام على كل مسلم أن يسعى للإصلاح في الأرض لا للإفساد فيها، وجاءت سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- تؤكد ذلك؛ فعن أبي سعيد الخدري؛ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِذَا أَتَيْتَ عَلَى رَاعِيِ إِبِلٍ فَنَادِ يَا رَاعِيِ الْإِبِلِ ثَلَاثًا؛ فَإِنْ أَجَابَكَ وَإِلَّا فَاحْلُبْ وَاشْرَبْ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُفْسِدَ؛ وَإِذَا أَتَيْتَ عَلَى حَائِطٍ بُسْتَانٍ فَنَادِ يَا صَاحِبَ الْحَائِطِ ثَلَاثًا؛ فَإِنْ أَجَابَكَ وَإِلَّا فَكُلْ « (أحمد وابن ماجه والحاكم وصححه).

لذلك أرشدنا الإسلام إلى الدعاء للمصلحين بالتوفيق والسداد والصلاح؛ والدعاء على المخربين بالهلاك والدمار؛ فقد كان عمر بن عبد العزيز يقول: اللهم أصلح من كان في صلاحه صلاح لأمة محمد، اللهم أهلك من كان في هلاكه صلاح لأمة محمد صلى الله عليه وسلم. " (رواه أبو نعيم في حلية الأولياء).

العنصر الثاني: صور وأشكال التخريب والإفساد

أيها المسلمون: للاعتداء والتخريب والإفساد في الأرض صور وأشكال وألوان مختلفة ومتعددة:

منها: تخريب وتدمير المنشآت العامة:

فإن من يقوم بذلك من حرق المنشآت العامة وإتلاف الأشجار والحدائق؛ والتعدي على الأموال الخاصة والعامة سواء بالسرقة منها أو بإتلافها، كل ذلك يعد من أشد صور الفساد والإفساد في الأرض؛ وقد نكل الله بهؤلاء في قوله: { إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ } (المائدة: ٣٣)

ومنها: قتل النفس التي حرم الله:

فقتل الأنفس المعصومة من كبائر الذنوب، ومن الإفساد في الأرض، وزوال هذه الدنيا وما فيها أهون عند الله -عز وجل- من قتل رجل مسلم، يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ» (الترمذي).

وفساد القتل ليس قاصراً على قتل نفس المسلم، بل أيضاً يشمل ذلك المعاهد، والمستأمن، فإن الله -عز وجل- قد حفظ له حقه، فقد أخرج البخاري عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لِيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا».

ومنها: زعزعة الأمن:

فالأمن في الأوطان مطلب كل يريده ويطلبه، فقريش أنعم الله عليها بنعمة الأمن، فأطعمها من جوع وآمنهم من خوف، وأن من يسعى لزعزعة الأمن إنما يريد الإفساد في الأرض، وأن تعم الفوضى والشر بين عباد الله، فما يحصل في بلادنا إنما هو إرادة للتخريب والتدمير والإفساد في الأرض، وإنما حملهم على ذلك الحسد لهذه النعمة نعمة الأمن، ونعمة الاستقرار التي ننعم بها في هذه البلاد.

ومنها: السعي إلى الفرقة وتحزب الناس:

فمن نظر إلى حال الأمة الآن يجدها فرقا وأحزابا وجماعات؛ و {كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} (الروم: ٣٢)؛ وكل يدعي لنفسه أنه المصلح، ولكن كما قال الله تعالى: {وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمَصْلِحِ} [البقرة: ٢٢٠]، لذلك نهى الله عن الفرقة والتحزب، وأمر الله بالاجتماع، ونهى عن الاختلاف: {وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} [الأنفال: ٤٦]، ويقول -جل وعلا-: {وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} [آل عمران: ١٠٣]، فالله -عز وجل- أمر بالاجتماع ونهى عن الاختلاف، فنشر الفرقة بين الناس بسبب الحسب، أو النسب، فيه فساد للمجتمع، ومن يسعى إلى نشر الفرقة بين المجتمع ويسعى إلى التخريب والتدمير والإفساد فيهم يجب نصحه، وإلا حذرنا منه لأنه يسعى للإفساد في الأرض.

ومنها: التفجيرات المتكررة التي يقوم بها المخربون والهدامون:

والتي راح ضحيتها أرواح الأبرياء الشهداء هنا وهناك في كل مكان من أرجاء المعمورة؛ فكم نسمع بين الفينة والأخرى عن تفجير في كمين كذا؛ أو كتيبة كذا؛ أو كنيسة كذا؛ وهذا بلا شك من أبشع وأخطر وأسوأ صور الاعتداء والتدمير والتخريب على الفرد والمجتمع!!

ومنها: تخريب وتدمير عقول الشباب:

وذلك يبث فيهم الأفكار المتطرفة الهدامة؛ وهل كُفِّر الناس وأريقت الدماء وقُتِل الأبرياء وخُفرت الدماء بقتل المستأمنين وفُجرت البقاع إلا بهذه المفاهيم المنكوسة؛ والأفكار المتطرفة المعكوسة!!

العنصر الثالث: الاصطفاف لمواجهة الاعتداء والتخريب

عباد الله: علينا أن نصطف جميعا لمواجهة الاعتداء والتخريب والتدمير والإفساد؛ وذلك بكثرة التوعية والندوات؛ عن طريق الدعاة والإعلام المرئي والمسموع والمقروء ومراكز الشباب والأمسيات الدينية والخطب والدروس والمحاضرات وشبكة المعلومات الدولية؛ وجميع وسائل الاتصال الحديثة؛ بهدف توضيح مخاطر الإفساد والإرهاب والتخريب على المستوى الثقافي والديني والاجتماعي والاقتصادي؛ مع بيان أن جريمة التدمير والتفجير والتخريب إنما هي مخالفة صريحة للأوامر الإلهية ولما جاء بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وبيان أن ذلك دليل على ضعف الوازع الديني لدى الفاسد والمفسد، ولهذا فإن الإسلام يعمل على تنمية وتقوية الوازع الديني لدى كل أفراد المجتمع حتى يكون الوازع الديني هو الذي يمنع المرء من ممارسة التخريب والإرهاب والفساد وارتكاب جرائمه.

كما يجب على ولاة الأمر فرض عقوبات رادعة للإرهابيين والمفسدين والمخربين والضرب بيد من حديد على أيدي هؤلاء؛ وليكن الهدف من العقاب هو ردع كل مَنْ تُسَوَّل له نفسه أن يفسد أو يقدم على أي نوعٍ من أنواع الفساد والتخريب بكل صورته؛ لهذا قال عثمان -رضي الله عنه-: "إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن"، أي: يمنع بالسلطان باقتراف المحارم، أكثر ما يمنع بالقرآن؛ لأن بعض الناس ضعيف الإيمان لا تؤثر فيه زواجر القرآن، ونهى القرآن؛ لكن متى علموا أن هناك عقوبة من السلطان، ارتدعوا، وخافوا من عقوبة السلطان لئلا يفتنهم، أو يضرهم، أو ينفهم من البلاد، فهم يخافون ذلك!!

كذلك من أهم عوامل مواجهة الاعتداء والتخريب: نشر وسطية الإسلام والفكر الوسطي في الإعلام ووسائل الاتصال؛ لأن آفة الانحراف عن الوسطية أو الشذوذ عنها يقود إلى التطرف والجهل والاستبداد والإفساد والقتل والتخريب والإرهاب، والتقليد الأعمى، والتصرفات المرتجلة دون رؤية وتشاور وتقدير هادئ لعواقب الأمور، ولذلك تعاني بعض المجتمعات الإسلامية من تفشي الغلو والتطرف في الدين بين صفوف المراهقين فكرياً، وذلك من خلال تطبيق ممارسات خاطئة بحجة التمسك بالدين، وفي الواقع هم أبعد ما يكونون عن الدين الإسلامي الحنيف دين الوسطية والاعتدال؛ كما أن المتبعدين عن وسطية الإسلام يسلكون في حياتهم مسالك وعرة، منهجهم القهر والإكراه، وسفك الدماء والتخريب ومصادمة المشاعر، ونشر الذعر والخوف، واستباحة الدماء والأعراض والأموال، لاتصافهم بصفتين شاذتين وخطيرتين هما:

١ - الجهل بأحكام الشريعة الإسلامية المقررة في القرآن والسنة، ولاسيما الأحكام العامة التي تمس الآخرين .

٢ - التورط بتكفير المخالفين لهم لأدنى تهمة أو شبهة، واستباحة دمائهم، وهذا ظلم عظيم .

لذلك كانت المحافظة على عقول الناس من أهم أسباب حفظ الأمن؛ لأن الناس لو استقامت عقولهم، صاروا يُفكِّرون فيما ينفعهم ويتعدون عما يضرهم، فلو استقامت عقول الناس لاستقامت حياتهم؛ لأنهم سوف يبحثون عما يُرضي الله فيفعلونه، ويتعرفون على ما يغضب الله فيبتعدون عنه، إذًا هناك علاقة كبيرة بين المحافظة على عقول الناس وبين استقرار الأمن عندهم؛ لأن مما يذهب بأمن الناس انتشار المفاهيم الخاطئة حيال نصوص القرآن والسنة، وعدم فهمهما بفهم السلف الصالح.

عباد الله: إن حلَّ ظاهرة الاعتداء والإفساد والتخريب والتدمير وعلاجها لا يقتصر على فئة معينة، وإنما يشمل جميع أفراد المجتمع: شباباً وأسرّة ودعاةً ومؤسساتٍ وحكومةً؛ فإذا كان الطبيب يعطى المريض جرعة متكاملة حتى يشفى من سقمه - إن قصر في نوع منها لا يتم شفاؤه - فكذلك علاج هذه الظاهرة يكون مع تكاتف المجتمع بجميع فئاته، فكل فئة لها دور ، وبإكمال الأدوار يرتفع البنيان، وإلا كما قيل:

ومتى يبلغ البنيان يوماً تمامه إذا كنت تبني وغيرك يهدم

أيها المسلمون: نحن في سفينة واحدة ؛ ولا بد أن نتضامن جميعاً من أجل نجاة هذه السفينة ؛ ومن أجل بناء مجتمعنا؛ كما علينا أن نأخذ على أيدي العابثين بهذه السفينة؛ وإلا غرقت بنا جميعاً ؛ فعن التُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ بَحْوًا، وَجَحُوا جَمِيعًا " (البخاري)

إننا إن فعلنا ذلك وأصبحنا متضامنين متعاونين متكافلين بدأ واحدة في الضرب بيد من حديد على كل متربص ببلدنا أو وطننا أو ديننا أو مقدساتنا أو أفراد مجتمعنا أو مؤسساتنا ؛ مع نشر تعاليم الإسلام السمحة ؛ فإننا بحق نستطيع القضاء على الإرهاب والإفساد والتخريب والتدمير بكل صورته وأشكاله؛ ونبني وطننا ؛ ونعيش آمنين مطمئنين متحدين متعاونين مترحمين كما أراد لنا ديننا الحنيف!!!

العنصر الرابع: من أنواع الشهداء (الشهادة في سبيل الدفاع عن الوطن)

عباد الله: كثير من الناس يعتقد أن الشهادة تقتصر على الموت في محاربة الكفار فقط ، ولكن شهداء أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - كثيرون، ففي الحديث المتفق عليه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: الْمَطْعُونُ؛ وَالْمَبْطُونُ؛ وَالْعَرِيقُ؛ وَصَاحِبُ الْهَدْمِ؛ وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ". وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمًا لِأَصْحَابِهِ: مَا تَعْدُونَ الشُّهَدَاءَ فِيكُمْ؟ قَالُوا: مَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ شَهِيدٌ، قَالَ: إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذَنْ لَقَلِيلٌ: الْمَقْتُولُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ شَهِيدٌ، وَالْمَرْءُ يَمُوتُ عَلَى فِرَاشِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَاللَّدِيعُ شَهِيدٌ، وَالْعَرِيقُ شَهِيدٌ، وَالَّذِي يَفْتَرِسُهُ السَّبْعُ شَهِيدٌ، وَالْحَارُّ عَنِ ذَابْتِهِ شَهِيدٌ،

وَصَاحِبُ الْمُدْمِ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيدٌ، وَالثَّفَسَاءُ يُقْتَلُهَا وَلَدُهَا يَجْرُهَا بِسَرِّهِ إِلَى الْجَنَّةِ". (ابن حبان والطبراني واللفظ له) ؛ والمبطون كما يقول النووي : " هو صاحب داء البطن. وقيل: هو الذي يموت بداء بطنه مطلقاً. وقوله: المرأة تموت بجمع شهيد. أي تموت وفي بطنها ولد، لأنها ماتت مع شيء مجموع فيها غير منفصل وهو الحمل". (شرح النووي)

هذا وخصال الشهادة أكثر من هذه السبع، قال الحافظ ابن حجر: " وقد اجتمع لنا من الطرق الجيدة أكثر من عشرين خصلة.. وذكر منهم: اللدغ، والشريق، والذي يفتسه السبع، والخار عن دابته، والمائد في البحر الذي يصيبه القيء، ومن تردى من رؤوس الجبال. قال النووي: وإنما كانت هذه الموتات شهادة يتفضل الله تعالى بسبب شدتها وكثرة أهلها. قال ابن التين: هذه كلها ميتات فيها شدة تفضل الله على أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - بأن جعلها تمحيصاً لذنوبهم وزيادة في أجورهم يبلغهم بها مراتب الشهداء". (فتح الباري).

ويدخل في ذلك الدفاع عن الأهل والمال والوطن فعن سعيد بن زيد قال - صلى الله عليه وسلم - : "مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ" (الترمذي وحسنه)؛ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : " جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخَذَ مَالِي ؟ قَالَ : فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ ، قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي ؟ قَالَ : قَاتَلْتَهُ ، قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي ؟ قَالَ : فَأَنْتَ شَهِيدٌ ، قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتَهُ ؟ قَالَ : هُوَ فِي النَّارِ " . (مسلم)

ويدخل في ذلك أيضا الجنود المرابطون الذين يسهرون ليلهم في حراسة هذا الوطن والدفاع عنه وحماية منشأته؛ وقد ذكرهم الرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: "عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ؛ وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" (الطبراني والبيهقي والترمذي وحسنه).

فكل من مات من أجل التضحية والدفاع عن الوطن فهو شهيد؛ وليعلم أن لنيل أجر الشهادة شروطاً، من هذه الشروط: الصبر والاحتساب؛ وعدم وجود الموانع كالغلول، وغضب حقوق الناس؛ أو من فجر نفسه.

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية: عن رجل ركب البحر للتجارة فغرق فهل مات شهيداً؟ أجاب: نعم مات شهيداً إذا لم يكن عاصياً بركوبه، وقال في موضع آخر: ومن أراد سلوك طريق يستوي فيها احتمال السلامة والهلاك وجب عليه الكف عن سلوكها، فإن لم يكف فيكون أعان على نفسه فلا يكون شهيداً. اهـ

فمن مات مضحياً ومدافعاً عن وطنه وهو صابر ومحتسب وموحد فهو من الشهداء عند الله؛ { وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠).

نسأل الله أن يتغمد شهداءنا بواسع رحمته؛ وأن يسكنهم الفردوس الأعلى من الجنة؛ وأن يلهم أهليهم وذويهم الصبر والسلوان . اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ، اللهم من أراد بلادنا بسوء فأشغله بنفسه ورد كيده في نحره واجعل تدبيره تدميره يا سميع الدعاء، اللهم احفظ بلادنا وبلاد المسلمين من شر الأشرار وكيد الفجار وشر طوارق الليل والنهار .

اللهم عليك بكل من قتل جنودنا ، ورمل نساءنا ، ويتم أطفالنا ، وأباح دماءنا ، ومزق مجتمعا ، وأهان كريمنا ، وأذل عزيزنا، ونجس أرضنا ، ونكس علمنا ، وأهدر حقوقنا ، واستباح مالنا وديارنا، وهتك أعراضنا ، وكرم سفهاءنا ، وحقر علماءنا ، واغتصب حقوقنا ، وفرق جمعنا .

وأقم الصلاة،،،،

الدعاء،،،،

كتبه : خادم الدعوة الإسلامية

د / خالد بدير بدوي